مشكلة الرأي العام

في الدولة الديمقراطية

بقلم الاستاذ عبد الجليل علي الطاهر

بعد إن بقي علم النفس احقاباً طويلة يسيطر عليه المتطفلون والمشعوذون ، بذل العلماء المحدثون والمربون الجهود الجبارة ، فأدخلوا الطرائق العلمية عليه ، وجعلوه يعتمد على التجارب والمختبرات فما وازدهر ، فلم تكد نتائجه توضح النفس البشريه وفعالياتها وضروب نشاطها . . . ولم تكد النظم الديمقراطية تتركز وتتبلور بعد كفاح طويل حتى اوجدت مفاهيم الرأي العام قبولا وترحيباً بين اساتذة العلوم السياسيه وعلماء الاجتماع وبين الساسة الذين يتزعمون الاحزاب والمنظمات و يقودون الناس لتحقيق برامج معينة . اما الرأي العام بمعناه الحديث كان من نتاج السنين الاخيرة من القرن الثامن عشر ، على انه بستطاعنا ان نرجع الى اصوله وجذوره في الماضي البعيد حيث المجتمع الاغريقي ـ اذ سنجد كلمات مرادفات له مثل (فيم) و (نوموس) و (أوسا) مألوفة في اثينا . ولم يكن الامر مقتصراً على الاثينيين فحسب ، بل يبحث الرومان عن (فاما بو بيوليس) في عصر الجمهورية قاصدين به الراي العام ونعتوه في أواخر الامبراطورية بـ (فوكس بوبيولى) (١)

اما في العصور الوسطى فقد استعمل الفقهاء في كلا المعسكرين البابوي والامبراطوري ما يماثل هذا الاصطلاح واهتم مكيافيللي بقوة الرأي العام التي دعاها « بوبليكا فوكا » (٢) واننا لنتلمس بكل وضوح في رواية [هنري الرابع] لشكسبير العبارة الآتية : [الرأي العام هو الذي أوصلني الى العرش] كما اننا نجد في غضون القرن السابع عشر المحاولات الاولى في انكلترا لتحديد مفهوم الرأي العام وتعريفه . فقد كتب « وليام تمبل » : ـ « إن مصدر السلطة السياسية هو الرأي المتفوق الداعي الى الحكمة » (٣) ويقول « جون لوك » : ـ « ان القوانين التي تسير اعمال الناس بصورة عامة هي [١] : القانون الالهي [٢] القانون المدني [٣] قانون الرأي العام (٤) وانتشر مفهوم الرأي العام في القرن الثامن عشر بين

أن ننقطع عن انجاز الاعمال الهامة التي باشرناها . وفي الوقت نفسه فاننا مهتمون بحل مسألة الشكل الحكومي الاصلح لحكم هذه البلاد ، و يسرنا ان نحصل على اية مساعدة أو مشورة يكون في استطاعتكم وفي استطاعة مستشاريكم ان يقدموها حول هذا الامر . واننا نرغب بصورة خاصة أن تقدموا الينا بياناً موثوقاً عن وجهة نظر السكان المحليين في مختلف المناطق حول الامور المعينة فيما يلي :

١ ـ هل يرغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج (العربي) الفارسي ؟

٢ ـ هل يرغبون ، في هذه الحالة ، في رئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة الجديدة .

٣ ـ من هو الرئيس الذي يريدونه في هذه الحالة ؟

[من المهم جداً في نظرنا ان يكون التعبير عن آراء السكان المحليين حول هذه الامور حقيقياً بحيث ان اعلانه للعالم يكون تعبيراً نزيهاً عن رأي سكان العراق] إه (١)

بغداد — عبد الرزاق الحسني

(١) ولسن ص ١١٠ ـ ١١١ من الجزء الثاني [تصادم في الولاء]

---

(١) راجع دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، مج (٧) مادة « الرأى العام » بقلم وليام باوير (بالانكليزية) .

(٢) نيقولو مكيافيللي ، مؤلف كتاب الأمر وتاريخ فلورنسه (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) .

(٣) وليام تمبل ، مؤلف كتاب « مقال عن أصل وطبيعة الحكومة » [١٦٧٢] . (بالانكليزية)

(٤) جون لوك ، مؤلف « مقال يتضمن المعرفة الانسانية » [سنة ١٦٩٠ [بالانكليزية] .

مونتسكيو وروسو . وعندما نشبت الثورة الفرنسية واندلع لهيبها ، إنتشر إصطلاح الرأي العام في طول البلاد وعرضها وخاصة في حاشية « نيكر » ذلك الخبير بالشؤون المالية فاستطاع بحسن تدبيره أن يوازن بين الواردات و المصروفات وحاول ان يكتسب ثقة الرأي العام بنشر حسابات الميزانية التي كشفت الستار عما تفيض به من المنح والعطايا للخدم والحاشية وتسربت فكرة الرأي العام من فرنسا الى اغلب الانحاء الاوربية (١) . حتى اذا جاء القرن التاسع عشر ، وازدهرت المفاهيم الديمقراطيه رغم ما بذله عصر الجمود والرجعية « عصر مترنيخ » من الجهود العظيمة للقضاء على فكرتي الحرية والقومية . أما في انكلترا فان الحركات الدستورية العنيفة قد عززت المبدأ الديمقراطي وجعلت الرأي العام قوة قاهرة في توجيه السياسة الداخلية والخارجية ، حيث ان مبادئ [جريمي بنثام] و [جون ستوارت مل] كانت دعوة صارخة ضد الطبقة الممتازة .

وفي سنة ١٨٣٢ أكدت لا محة الاصلاح قوة الشعب باجمعه وحققت سيادة الأمة وقربت مجلس العموم من الشعب وقلمت اظافر الملكية وقللت نفوذها واضعفت هيمنة مجلس اللوردات (٢) وصار بمستطاع الملك ان يعين اعضاء جدداً لمجلس اللوردات ، وكانت تلك اللائحة نقطة التحول في التاريخ الانكليزي ، وصار مركز مجلس اللوردات ثانويا (٣) ومع كل ذلك فان هذه اللائحة الجريئة لم تحقق تمثيل الرأي العام تمثيلا جيداً ، فلم تزل الطبقة العاملة خارج نطاق الحياة الدستورية لهذا عمدت بعض المنظمات في لندن لتقديم عاصمي (ميثاق الشعب) في سنة ١٨٣٨ طالبين تحقيق ما يلي :

يتبع :

عبد الجليل علي الطاهر

---

(١) كوكر ، الفكر السياسي الحديث ، القسم الثاني ، [ص٢٩١ بالانكليزية] ..

(٢) تريفيليان ، التاريخ البريطاني في القرن التاسع عشر ، الفصل الرابع عشر . «بالانكليزية» .

(٣) باغوت ، الدستور البريطاني . «بالانكليزية» .

نيارات ..

● يحسب فريق من العناصر البشرية ان الدين هو ملك مشاع لهم ويحسب ان الزعامة الدينية ما هي الا ملوكية يجب ان تكون لها ولاية عهد او حبوة يختص بها اكبر الاولاد

وهذا الرأي فاشل امام الدين والعقل فان الدين لم يختص به احد وانما جاء لاسعاد المجموعة البشرية وانه النظام الذي يسير بالناس على اساس العدل والمساواة ، والعنصرية معنى ضيق لا يتسع لحمل الدين والاستقلال به . فهذه الزمرة الفاشلة وهذا الفريق المنحط سايره الوضع ردحا من الزمن فتصور ان الدين ملكه وتحت سيطرته واليوم اصبح الناس وقد عرف كل منهم ان الدين نظام عام يقتدي به كل انسان سوى الفضيلة . فالى اولئك الذين عموا عن الحق وتسلطوا من النظام الديني الاجتماعي ساخطين على الحقيقة . ثقوا انكم لا تظفروا بما ترومون ولا تحصلوا على بغية لكم مادمتم بهذا المنطق المفلوج والرأي السخيف ،

● اذا اردت ان تنقد شخصاً يجدر بك ان تحيط بكل ظروفه او تنزل نفسك منزلته لتشعر بخطر المسؤولية وبعد التأمل الدقيق يصح لك ان تستفسر لا ان تنقد

● النقد بعض مظاهر الفن او أبرز مظاهره فيه يتوصل الانسان الى تكامل الخاطرة ونضوجها ، واتقان الصوره وجمالها ، وتنسيق المناظر الطبيعية وبهجتها

● النقد كأداة يتوصل بها الانسان الصحيح الى اشرف الغايات فهو كسائر الادوات ، بامكانه ان يستعمله للاستهانة بالناس ، وبامكانه ان يستعمله لاظهار الحقيقة التي هي رائد اهل الفضل ،

● النقد صفة يحتاج معتنقها الى استعداد وقابلية يستطيع بسببها ان يكيفها الى الصالح العام والقضاء على الاغراض الشخصية .

« عبقري »